الفصل الرابع
من شعيب إلى يحيى

شعيب

سيدنا شعيب عليه السلام: ورد ذكره فى القرآن الكريم عشر مرَّات، منها، قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[1]، وكان أهل مدين عربًا كفَّارًا، يقطعون الطريق، ويخيفون المارة، ويبخسون النَّاس أشياءهم، وهم أصحاب الأيكة، وتقع مدينتهم على حدود مصر الشرقية، فى وقت كانت فيه فلسطين إقليمًا مصريًّا، وذكر ابن عبد البر[2] أنَّ سلمة بن سعد العَنَزِىَّ رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وانتسب إلى عَنَزَة، فقال: " نِعْمَ الْحَىُّ عَنَزَة، مَبْغِىٌّ عَلَيْهِمْ مَنْصُورُونَ رَهْطُ شُعَيْبٍ، وَأَخْتَانُ مُوسَى "[3].

وسيِّدنا شعيب هو نبى الله المبعوث إلى مدين[4]، وأرسل بعد هود وصالح ولوط ـ عليهم السلام ـ، وأهل مدين هم أصحاب الأيكة الَّذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا

---

(١) سورة الأعراف ٧: ٨٥.

(٢) أبو عمر، يوسف بن عبد الله، النمرى، القرطبى، المالكى (٣٨٦ ـ ٤٦٣ هـ) حافظ المغرب، مؤرخ، أديب، باحث، له مؤلفات كثيرة، أشهرها الاستيعاب فى أسماء الأصحاب، والاستذكار. انظر: الأعلام ٨ / ٢٤٠، ومعجم المؤلفين ١٣ / ٣١٥.

(٣) الاستيعاب ٢ / ٦٤٤.

(٤) مدين: مدينة قوم شعيب، على بحر القلزم، محاذية لتبوك، وهى أكبر منها، وعلى بعد ست مراحل منها، وبها البئر الَّتى استقى منها سيِّدنا موسى، ويعدُّها الجغرافيون العرب كورة من كور مصر القبلية، وقيل: مدين اسم القبيلة. انظر: معجم البلدان ٥ / ٧٧.

تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

اضطربت أقوال المؤرخين فى نسب سيِّدنا شعيب عليه السلام، وفى صلته بنبى الله موسى عليه السلام، وتكاد تجمع أقوال المؤرخين على أنَّه من ذريَّة سيِّدنا إبراهيم عليه السلام، ويقال: إنَّ أمَّه بنت سيِّدنا لوط عليه السلام، وأنَّه كان ممن آمن بسيِّدنا إبراهيم، وهاجر معه، ودخل معه دمشق عليه السلام، وكان رسول الله إذا ذكر شعيبا قال: (ذَاكَ خَطِيبُ الْعَرَبِ)[2].

وادَّعى البعض أنَّ شعيبًا كان كبير الكهنة فى قصر فرعون مصر زمن سيِّدنا يوسف عليه السلام، وبعد وفاة يوسف حُمِل كلَّ متاعه إلى قصر فرعون، ومن بين ذلك المتاع عصا من أشجار الجنة كانت قد أُعْطيت إلى سيَّدنا آدم عليه السلام، وأعجب شعيب بتلك العصا، وطلبها من فرعون، فأعطاه إيَّاها[3].

والوقائع التاريخية ترجِّح أنْ شعيبًا كان سابقا لعصر موسى عليه السلام، وأنَّ المفسرين المتأخرين هم وحدهم الَّذين قالوا: أنَّ شُعَيْبًا هو نفسه كاهن مدين الَّذى أصهر إلى سيِّدنا موسى عليه السلام والَّذى جاء اسمه فى الأسفار اليهودية يثرون، واسمه من أصل عربى، يعنى "العظيم"، وتزعم الأسفار اليهوديَّة أنَّ يثرون[4] جاء يزور موسى فى

---

(١) سورة الشعراء ٢٦: ١٧٦ ـ ١٩١.

(٢) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٢ / ٥٦٨.

(٣) قصة الديانات ٣٠٦.

(٤) وقيل اسمه: رعوئيل، أو يترو، أو حوباب بن رعوئيل... الكتاب المقدس ١٥٥ ح ٧

البريَّة فى "جبل الله" وهناك بارك موسى كما بارك ملكى صادق سيِّدنا إبراهيم، وقدَّم لله ذبيحة شارك فيها هارون وشيوخ إسرائيل[1].

هارون

سيدنا هارون Aharon ﷺ: هو شقيق سيِّدنا موسى الأكبر، والمرسل معه إلى فرعون وملئه، وكان أفصح منه لسانًا، وأوضح بيانًا، واسمه مأخوذ من اسم الإله المصرى "حورس"، ورد اسمه كثيرا فى القرآن الكريم مقرونا باسم شقيقه، ولم يكن له معجزاته، وكان أوَّل حَبْر، ورئيس كهنة لأتباع موسى، وخلفه على رئاسة القوم عندما ذهب ليتلقَّى الألواح من ربِّه، وتأخَّر موسى فى النُّزول من الجبل، وزعم كتَّاب الأسفار اليهوديَّة أنَّ الشعب اجتمعوا على هارون " وَقَالوا لَهُ: قُمْ فَاصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، فَإِنَّ مُوسَى ذَلِكَ الرَّجُلُ الذى أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ، لاَ نَعْلَمْ مَاذَا أَصَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: انْزِعُوا حَلَقَاتِ الذَّهَبِ الَّتِى فِى آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ، وَأْتُونِى بِهَا... فَأَخَذَهَا وَصَبَّهَا فِى قَالِبٍ، وَصَنَعَهَا عِجْلاً مَسْبُوكًا، فَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِى أَصْعَدَتْكَ مِنْ مِصْرٍ، فَلَمَّا رَأَى هَارُون ذَلِكَ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَ الْعِجْلِ، وَنَادَى قَائِلاً: غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ "[2]، وحاشا لرسول الله أنْ يصنع وثنًا، ويعبده، ويضلَّ أتباعه، والَّذى جاء فى القرآن الكريم أنَّ الَّذى صنع العجل هو السَّامِرِى، ولَّما نهاهم هارون عن ضلالهم كادوا يقتلونه، فاعتزلهم إلى حين مجىء أخيه، وقصَّ القرآن الكريم الحقيقة فى فعل السامرىِّ، والحلىَّ الَّتى سرقها قوم موسى من المصريين قبيل خروجهم، قال تعالى: ﴿ **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ** ﴾

---

(١) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ١٧٦، ٢٦٧، ودائرة المعارف الإسلامية ٢٠ / ٦٢٨٦، والمحيط الجامع ١٣٧٦.

(٢) خروج ٣٢: ١ ـ ٦.

ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْتُهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ
فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ
لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾
قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ
عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[1].

وتزعم الأسفار اليهوديّة أنَّ هارون وأخته مريم لم يرضيا عن زواج أخيهما موسى امرأة كوشيَّة؛ وكأنَّ هذا اعتراض على قضاء الله أضعف إيمانهما، واستحقَّا الحرمان من الدخول إلى أرض الميعاد، فماتا فى التيه.

وفى قصَّة موْت هارون عليه السلام تفصيلات استقاها المفسرون من الرويات اليهودية؛ فزعموا أنَّ موسى وهارون اكتشفا كهفًا، ينبعث منه نور، فدخلاه، وفيه وجدا عرشًا ذهبيًّا منقوشًا عليه "لمن يناسبه"، ولم يناسب موسى، وعندما جلس عليه هارون قبض ملك الموت روحه، وكان عمره آنئذ ١٢٧ سنة، ورجع موسى إلى قومه بدون أخيه؛ فاتهموه بقتله إلاَّ أنَّ الله أرسل ملائكة تحمل نعش هارون، وأعلنت براءة موسى من دم أخيه.

وفى رواية أخرى أنَّ موسى أخذ قومه إلى قبر أخيه الَّذى أعيد إلى الحياة ليبرِّئ أخاه من قتله[2]، وكل هذه الأساطير لا أصل لها.

---

(١) سورة طه ٢٠: ٨٥ ـ ٩٨.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٠٢٤، والمحيط الجامع ١٣٣٨.

يوشع بن نون

يوشع بن نون Joshua: ومعنى اسمه "الله يخلِّص، أو الرَّب يعطى الخلاص"، وتتعدد أسماؤه فى النصوص الدينية؛ فيقولون يشوع، ويهوشواع، وهوشع، وهو غلام سيِّدنا موسى عليه السلام أو مساعده، ومن الراجح أنَّه مصرى الأصل، والمولد، والنشأة، وحتَّى لو أخذنا برواية نسبه المختلق فى الأسفار اليهوديَّة فإنَّهم ينسبونه إلى سبط أفرائيم، وأفرائيم هذا هو الابن الثانى لسيِّدنا يوسف عليه السلام من زوجه المصرية أسْنَات بنت فُوطِيفَارَع كاهن أون[1] فهو إنْ لم يكن من أبوين مصريين فمن المؤكَّد أنَّ الدماء المصرية تجرى فى عروقه من جهة جدته.

ذكره القرآن الكريم غير مصرح باسمه فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[2].

وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب، اختاره موسى عليه السلام أولا قائدا لجنوده، وانتدبه لقتال العماليق، فانتصر عليهم[3]، ثمَّ أصبح خليفته من بعده، وعهد إليه بقيادة القوم إلى أرض فلسطين، وفى السفر المعنون باسمه، والَّذى يأتى مباشرة بعد الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، يضعه مؤلف السفر فى مكانة سامية تساوى مكانة موسى عليه السلام؛ فالله يكلمه كما كلَّم موسى، ويوحى إليه، ويأمره بالالتزام بما أنزل على موسى، ويمكن أنْ نميِّز فى سفر يشوع ما يأتى:

---

(١) تكوين ٤١: ٥٠.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٦٠ ـ ٦٥.

(٣) خروج ١٧: ١٣.

✿ تمَّ على يديه، وتحت قيادته فتح أجزاء كثيرة من أرض فلسطين.

✿ قسَّم الأرض ـ الَّتى فتحت والَّتى لم تفتح ـ على الأسباط الاثنى عشر وصرفهم إليها.

✿ كان يوشع واحدًا من اثنين احتجَّا على التقرير الَّذى كتبه الاثنا عشر جاسوسًا عن أرض كنعان، وتسبب فى تمرُّد الشعب؛ لهذا كانت لهما نعمة الدخول إلى أرض الميعاد[1].

✿ ينسب إليه مؤلف السفر أعمالا يحرِّمها الله، ولم يفعلها نبى قبله، ولا بعده، ولا تقرُّها شريعة، من ذلك:

أ ـ بعد فتح مدينة أريحا أمر يوشع بقتل كلِّ من فيها " مِنَ الرَّجُلِ وَحَتَّى الْمَرْأَةِ، وَمِنَ الشَّابِّ وَحَتَّى الشَّيْخِ، حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، فَقَتَلُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ "[2].

ب ـ وبعد الاستيلاء على المدينة، وقتل الأنفس الحيَّة من الإنس والحيوان "أَحْرَقَ الْمَدِينَةَ، وَكُلَّ مَا فِيهَا بِالنَّارِ إِلاَّ الْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ وَآنِيَةَ النِّحَاسِ وَالْحَدِيدِ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ "[3].

جـ ـ يثبت أنَّ النهب والسَّلب فى طبع اليهود؛ فلم يتورَّع القوم عن السرقة، وإخفاء الكثير مما وقعت عليه أيديهم[4].

ومات يشوع بعد أنْ كبر وشاخ، ويقال: إنَّه عاش ١٢٠ سنة، وأنَّه مات ودفن فى "تمنة حارس" أى: خربة تبنة على بعد ١٥ كم إلى الجنوب الشرقى من مدينة إيل[5].

داود

سيدنا داود David عليه السلام: زعم مؤلف الأسفار اليهودية فى نسبه أنَّه داود بن يَسَّى،

---

(١) عدد ١٤: ٦، و٣٠...
(٢) يشوع ٦: ٢١.
(٣) يشوع ٦: ٢٤.
(٤) يشوع ٧: ١١.
(٥) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٧٩، والمحيط الجامع ١٣٩٧.

وهو واحد من ثمانية إخوة، كان يرعى غنم أبيه فى بيت لحم، ومسحه النبى صموئيل ـ وتسميه المصادر العربية شمويل ـ بالزيت المقدس، وهذا المسح من التقليد النبوى والملكى عندهم، وكان صموئيل قد عيَّن شاول ملكا على بنى إسرائيل، ولكنه عصى ربَّهم، وخان العهد فغضب عليه ربُّهم، وحوَّل عنه المُلْك إلى سيِّدنا داود عليه السلام، وأيَّده حتَّى أسس ملكه فى أورشليم، بعد قتله جالوت ـ واسمه فى الأسفار اليهودية جُلْيَات ـ ولا تكاد تتفق سيرة سيِّدنا داود فى الأسفار اليهودية مع ما جاء فى القرآن الكريم إلاَّ فى هذه الحادثة، وحادثة القضيَّة الَّتى امتحن فيها سيِّدنا داود عليه السلام إذ تسوَّر عليه المحراب خصمان يطلبان حكمه ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

ورواية الأسفار لهذه الحادثة هى " ١ وَأَرْسَلَ الرَّبُّ نَاثَانَ إِلَى دَاوُدَ. وَعِنْدَمَا وَفَدَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: «عَاشَ رَجُلاَنِ فِى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا ثَرِى وَالآخَرُ فَقِيرٌ. ٢ وَكَانَ الْغَنِى يَمْتَلِكُ قُطْعَانَ بَقَرٍ وَغَنَمٍ كَثِيرَةً. ٣ وَأَمَّا الْفَقِيرُ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَى نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ، اشْتَرَاهَا وَرَعَاهَا فَكَبُرَتْ مَعَهُ وَمَعَ أَبْنَائِهِ، تَأْكُلُ مِمَّا يَأْكُلُ وَتَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ وَتَنَامُ فِى حِضْنِهِ كَأَنَّهَا ابْنَتُهُ. ٤ ثُمَّ نَزَلَ ضَيْفٌ عَلَى الرَّجُلِ الْغَنِى، فَامْتَنَعَ أَنْ يَذْبَحَ مِنْ غَنَمِهِ وَمِنْ بَقَرِهِ لِيُعِدَّ طَعَاماً لِضَيْفِهِ، بَلْ سَطَا عَلَى نَعْجَةِ الْفَقِيرِ وَهَيَّأَهَا لَهُ». ٥ عِنْدَئِذٍ

(١) سورة ص ٣٨: ٢١ ـ ٢٦.

احْتَدَمَ غَضَبُ دَاوُدَ عَلَى الرَّجُلِ الْغَنِى وَقَالَ لِنَاثَانَ: «حَى هُوَ الرَّبُّ، إِنَّ الْجَانِى يَسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ، ٦ وَعَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ لِلرَّجُلِ الْفَقِيرِ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ لأَنَّهُ ارْتَكَبَ هَذَا الذَّنْبَ وَلَمْ يُشْفِقْ». "[1].

وبعد هاتين الحادثتين تختلف الرواية بينهما ـ وأحيانًا تتناقض ـ فمن ذلك:

✿ جاء وصفه فى الأسفار اليهودية أنَّه كان "أصهب، جميل العينين، وسيم المنظر"[2].

وفى قصص الأنبياء عند المؤرخين المسلمين كالطبرى، وابن كثير وغيرهما، كان " قصيرًا، أزرق العينين، قليل الشعر "[3].

✿ طمع فى بَتْشابَع زوج أوريَّا الحِثِّى، بعد أنْ رآها تستحم عارية على السطح، وكانت جميلة جدًّا، فبعث فى طلبها، وزنى بها، وحملت منه فى الحرام، وأراد داود أنْ يتصل أوريّا بزوجه؛ ليبدو الحمل طبيعيًّا بين الرجل وزوجه، ولكنَّ أُورِيَّا أصر على اعتزال الزوج فى زمن الحرب؛ فالعفَّة من شرائع الحرب آنذاك فى زعمهم لذلك سعى داود فى قتله، فبعثه بكتاب إلى قائده يوآب، وأمره فى الكتاب أنْ يضع أوريَّا فى موضع من المعركة يكون شديدا، وينصرف الجنود من ورائه بحيث يتأكَّد فيه قتله، وبعد قتله تزوَّج داود بَتْشَابَعَ، ومات الولد الَّذى حملت به منه، ثم أنجبت له فيما بعد سليمان[4].

وأمَّا القرآن الكريم فيقول عن داود عليه السلام: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[5].

---

(١) صموئيل الثانى ١٢: ١ ـ ٦.
(٢) صموئيل الأول ١٦: ١٢.
(٣) تاريخ الطبرى ١ / ٤٧١، وقصص الأنبياء لابن كثير ٤٢٠.
(٤) صموئيل الثانى ١١: ٢ ـ ١٧.
(٥) سورة ص ٣٨: ١٧ ـ ٢٠.

وإظهار داود بعصيان الله، وغضب الله عليه يوحى بأمر خطير جِدًّا؛ ذلكَ أنَّ مؤلفى الأسفار اليهودية اعتادوا الحديث بالسوء عن الأعداء، والأمم غير اليهودية، فهل يشكُّون فى يهودية داود، وأنَّه ليس من بنى سرائيل بزعمهم ؟

سؤال خطير، والإجابة عنه تؤكِّد هذا الشك، إنَّهم يقولون عن داود:

✿ ارتكب فاحشة الزنا مع بتشابع، ثم تزوَّجها، وحكم شريعتهم القتل "وَإِنْ أُخِذَ رَجُلٌ يُضَاجِعُ امْرَأَةً مُتَزَوِجَةً؛ فَلْيَمُوتَا كِلاَهُمَا" فلماذا لم يقتلوهما ؟[1].

✿ وبَّخ النبى ناتان داودَ، وأنذره بأنَّ الربَّ قال: "فَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّى بِسَيْفِ الْعَمُّونِيِّينَ وَتَزَوَّجْتَ امْرَأَتَهُ. ١٠ لِذَلِكَ لَنْ يُفَارِقَ السَّيْفُ بَيْتَكَ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّكَ احْتَقَرْتَنِى واغْتَصَبْتَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ». ١١ واسْتَطْرَدَ: «هَذَا مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ: سَأُثِيرُ عَلَيْكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ مَنْ يُنْزِلُ بِكَ الْبَلاَيَا، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيُضَاجِعُهُنَّ فِى وَضَحِ النَّهَارِ. ١٢ أَنْتَ ارْتَكَبْتَ خَطِيئَتَكَ فِى السِّرِّ، وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الأَمْرَ عَلَى مَرْأَى جَمِيعِ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَفِى وَضَحِ النَّهَارِ». "[2].

ونحن نكذِّب هذا الكلام المنسوب زورًا وبهتانا إلى الله ﷻ، ونستعيذ بالله من هذا الكفر الصريح؛ فلا يمكن أنْ يأمر الله عباده بالفحشاء: ﴿ **وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[3] ولا يمكن أنْ يفضح الله نبيَّه على رءوس الأشهاد، أو أنْ يحكم حكمًا أبديًّا على نبيه بأنْ يرى قريبه يضاجع نساءه أمام عينيه، وفى وضح النهار وأنْ تتحملَّ ذريَّته جرائر هذا الإثم الَّذى لا ذنب لهم فيه.

✿ أمنون بن داود اغتصب أخته تامار، ولَّما علم داود لم يُحْزِن ابنه؛ لأنَّه كان يحبه، وكـان بكره، ولم ينْزل به عقوبة المغتصب وهى الرجم فى شريعتهم[4]؛ ولكنَّ

---

(١) سفر تثنية الاشتراع ٢٢: ٢١.
(٢) سفر صموئيل الثانى ١٢: ٩ ـ ١٢.
(٣) سورة الأعراف ٧: ٢٨.
(٤) سفر تثنية الاشتراع ٢٢: ٢٤.

أبشالوم ـ شقيق تامار ـ أمر بقتل أخيه، وهرب، ثمَّ تمرَّد على أبيه وجمع الشعب حوله[١].

✪ لجأ داود إلى آكيش بن مَعكَة ملك جَتَّ، فأسكنه صقلاج، وجعله يعمل عنده قاتلا مأجورا؛ يغزو البلاد القريبة منه، فلا يبقى على رجل ولا امرأة، ويأتيه بالغنائم حتَّى أصبح داود موضع ثقة آكيش الَّذى قال عنه: " جَعَلَ نَفْسَهُ مَمْقُوتًا مَقْتًا لَدَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيل، فَصَارَ لِي عَبْدًا إِلَى الأَبَدِ "[٢].

✪ خرج داود مع آكيش بن مَعكَة لقتال اليهود، فكان فى صف الأعداء ولكنَّ مؤلف السفر فكَّر فى حيلة حتَّى لا يواجه داود اليهود فى المعركة، ويقتل رجالهم، وهو مشهور عنه القوَّة والبأس، فجعل الفلسطينيين يطلبون من ملكهم آكيش أنْ يبعد داود عن المعركة؛ خوف انضمامه إلى صفوف الأعداء[٣].

✪ كان أوريَّا من الحثِّيين، وهم أعداء اليهود، فكيف كان يعمل مقاتلا فى جيش داود ؟

✪ لعن شِمْعى بن جيرا ـ وهو من عشيرة بيت شاول ـ داودَ قائلا له:

" ٥ وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْمَلِكُ دَاوُدُ إِلَى بَحُورِيمَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ هُنَاكَ يَنْتَمِي إِلَى عَشِيرَةِ شَاوُلَ، يُدْعَى شِمْعِي بنَ جِيرَا، وَرَاحَ يَكِيلُ لَهُ الشَّتَائِمَ، ٦وَرَشَقَ دَاوُدَ وَرِجَالَهُ وَالشَّعْبَ الَّذِى مَعَهُ وَالأَبْطَالَ الْمُلْتَفِّينَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ بِالْحِجَارَةِ. ٧ وَهُوَ يُرَدِّدُ فِى شَتَائِمِهِ: «اخْرُجْ! اخْرُجْ يَارَجُلَ الدِّمَاءِ وَرَجُلَ بَلِيِّعَالَ! ٨ لَقَدْ رَدَّ الرَّبُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَا سَفَكْتَهُ مِنْ دِمَاءِ بَيْتِ شَاوُلَ الَّذِى مَلَكْتَ عِوَضاً عَنْهُ، وَقَدْ سَلَّمَ الرَّبُّ الْمُلْكَةَ إِلَى أَبْشَالُومَ ابْنِكَ. وَهَا أَنْتَ غَارِقٌ فِى شَرِّ أَعْمَالِكَ لأَنَّكَ رَجُلُ دِمَاءٍ». "[٤].

والَّذى يهمنا هنا فى سيرة سيِّدنا داود أمران:

---

(١) سفر صموئيل الثانى ١٣: ١١ وما بعدها.
(٢) سفر صموئيل الأول ٢٧: ١٢.
(٣) سفر صموئيل الأول ٢٩: ٦.
(٤) سفر صموئيل الثانى ١٦: ٥ ـ ٨.

الأمر الأول: أنَّ هناك من الباحثين من يؤكِّد أنَّ داود وابنه سليمان ليسا من بنى إسرائيل ـ بالمفهوم اليهودى ـ وسوف نزيد هذا الأمر تأكيدا ووضوحًا بالأدلَّة فى سيرة سيِّدنا سليمان عليه السلام.

والأمر الآخر: حكم سيِّدنا داود عليه السلام نحو أربعين سنة (١٠١٠ ـ ٩٧١ ق.م.) منها سبع سنين فى حبرون، والباقى فى بيت المقدس، وأنَّ مملكته كانت تدور فى الفلك المصرى العملاق، وكان الفرعون يعيِّن على أورشليم نائبا له يختاره " ممن ليسوا من أهل المنطقة، ثمَّ يزوِّجه امرأة من الطبقة الأرستقراطية المصريَّة، وامتدَّ هذا الإجراء حتَّى شمل الهاربين والخونة والمرتدِّين السياسيين، وكذلك الرهائن من الأمراء، وكانوا ينشِّئونهم على الطريقة المصرية، ويزوجونهم بالطريقة نفسها "، وهى السياسة ذاتها الَّتى اتبعتها الدولة الرومانية فيما بعد[١]، والراجح أنَّ داود كان واحدًا من نوَّاب الفرعون فى أورشليم.

إنَّ اسم داود يعنى: الحبيب، أو رئيس القبيلة، ويزعم اليهود ـ كعادتهم فى تغيير الأسماء ـ أنَّ داود هو اسم الملك حين نُصِّب، وأنَّ اسمه الحقيقى "الحانان، أو بعل حانان"[٢]، وهذه تسمية وثنيَّة ألصقوها زورًا بنبى الله داود، بالرغم من أنهم يعتبرونه مؤسس مملكتهم، وهى وإنْ لم تعمِّر طويلا فقد ظلَّت ـ بالنسبة إليهم ـ النموذج والمثال، وكذلك كبرت شخصيَّة داود عند الأجيال اللاحقة فصار النموذج للملوك الَّذين جاءوا من بعده؛ لهذا ارتبط داود بالملك المسيحانى مخلص شعبه، ومعيد بنائه، وهذا المخلِّص ليس من نسل داود فقط، بل هو داود نفسه وقد عاد حيًّا[٣]، ولذلك يقول الأنبا شنودة "إنَّ داود النبى حينما وقع فى الزنا، وفى القتل العمد، ثمَّ قال: "أخطأت إلى الرب" أجابه ناثان "والرب نقل عنك خطيئتك. لا تموت"، وفسَّر الأنبا شنودة هذه المقولة بأنَّ خطيَّة العمد الَّتى وقع فيها داود حملها المسيح[٤].

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٦٢٩.
(٢) المحيط الجامع ٥٣٢.
(٣) المصدر السابق ٥٣٣.
(٤) سنوات مع أسئلة الناس ١٢٦.

ولسيِّدنا داود عليه السلام فى الإسلام صورة أخرى مخالفة لما يقوله اليهود عنه، ويمكن أنْ نلخِّص صورته فى الإسلام فيما يأتى:

۞ إنَّه واحد من الرسل الكبار أولى العزم الَّذين يتلقون الوحى من الله، والَّذين أنزلت عليهم الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

۞ جمع الله ﷻ لداود بين الملك والنبوَّة، بين خير الدنيا والآخرة، وكان المُلْك يكون فى سبط، والنبوة فى سبط آخر، فاجتمع فى داود هذا وهذا قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

۞ ألان الله له الحديد، وعلَّمه صناعة الدروع، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[3].

۞ وهب الله داود صوتًا حسنًا حتَّى كان الطير والوحش ينعكف حوله حتَّى يموت عطشأ وجوعًا، وحتَّى أنَّ الأنهار لتقف، ولا يسمعه أحد إلاَّ حجل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله؛ فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتَّى يهلك بعضها جوعًا، بل ذهب بعضهم إلى أنَّ داود عليه السلام إذا أخذ فى قراءة الزبور تفتَّقت العذارى[4].

۞ كان يعمل كلَّ يوم درعًا يبيعها بستة آلاف درهم، وقد ثبت من حديث رسول الله ﷺ: (ما أكل أحد طعاما خيرا من أنْ يأكل من عمل يده، وإنَّ نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)[5].

---

(١) سورة النساء ٤: ١٦٣.
(٢) سورة البقرة ٢: ٢٥١.
(٣) سورة الأنبياء ٢١: ٨٠.
(٤) قصص الأنبياء لابن كثير ٤٢٢.
(٥) رواه البخارى، وغيره. راجع تخريج الحديث فى المصدر السابق ٤٢١ ح ٢.

۞ استخلف الله سيِّدنا داود فى الأرض ليحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[1].

۞ رفع الله من قدر داود، فغفر له، وقرَّب منْزلته، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[2].

ومات داود عن مائة سنة، ورويت أساطير كثيرة فى وفاته[3].

سليمان

سيدنا سليمان Salomon ﷺ: زعم مؤلف الأسفار اليهودية أنَّ الرَّب ـ لمَّا ولد لداود ابنه سليمان ـ أحبَّه " ٢٤ ثُمَّ تَوَجَّهَ دَاوُدُ إِلَى بَتْشَبَعَ وَوَاسَاهَا وَضَاجَعَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ ابْناً دَعَاهُ سُلَيْمَانَ. وَأَحَبَّ الرَّبُّ الْوَلَدَ، ٢٥ وَأَمَرَ النَّبِى نَاثَانَ أَنْ يُسَمَّى الْوَلَدُ يَدِيدِيَّا (وَمَعْنَاهُ مَحْبُوبُ الرَّبِّ) لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّهُ. "[4].

تعرَّضت سيرة سيِّدنا سليمان ﷺ فى الأسفار اليهودية إلى نوعين من الزيف:

الزيف الأول: الحديث عن مملكة سليمان بغير الحق؛ فقد صوروها متسعة، تمتد حدودها من الفرات إلى حدود مصر، وتُحمل إليه من أهلها الجزية[5]...

"والحقيقة أنَّ مملكة سليمان الَّتى تبجَّح اليهود بعظمتها كانت أشبه بمحميَّة مصرية مرابطة على حدود مصر قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الَّذين كان أهم ما يهدفون إليه من وراء هذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر... فسليمان لم يكن وهو فى أوج مجده إلاَّ ملكا صغيرا، يحكم مدينة صغيرة "[6].

وفى الرواية الكهنوتية خلط كبير بين فضل النبوة والسلطان الدنيوى؛

---

(١) سورة ص ٣٨: ٢٦.
(٢) سورة ص ٣٨: ٢٥.
(٣) انظر: قصص الأنبياء لابن كثير ٤٣٠.
(٤) سفر صموئيل الثانى ١٢: ٢٤ ـ ٢٥.
(٥) سفر الملوك الأول ٥: ١.
(٦) العرب واليهود فى التاريخ ٦٢٦.

فالنبوة لا تعنى التسلُّط على الأرض، فسيِّدنا سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[1]، فعطاء الله ﷻ رسوله سلطانًا دينيا هو أمر لا علاقة له بالسلطة الدنيوية.

والزيف الأخر: زيغ سليمان عن الدين، وعبادته الأوثان؛ زعم مؤلف الأسفار اليهودية أنَّ سيِّدنا سليمان أَحَبَّ " ١ وَأَوْلَعَ سُلَيْمَانُ بِنِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ كَثِيرَاتٍ، فَضْلاً عَنِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، فَتَزَوَّجَ نِسَاءً مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، ٢ وَكُلُّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ الأُمَمِ الَّتِى نَهَى الرَّبُّ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَنِ الزَّوَاجِ مِنْهُمْ قَائِلاً لَهُمْ: «لاَ تَتَزَوَّجُوا مِنْهُمْ وَلاَ هُمْ مِنْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُغْوُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». وَلَكِنَّ سُلَيْمَانَ الْتَصَقَ بِهِنَّ لِفَرْطِ مَحَبَّتِهِ لَهُنَّ. ٣ فَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ، وَثَلاَثُ مِئَةِ مَحْظِيَّةٍ، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ. ٤ فَاسْتَطْعَنَ فِى زَمَنِ شَيْخُوخَتِهِ أَنْ يُغْوِينَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ مُسْتَقِيماً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. ٥ وَمَا لَبِثَ أَنْ عَبَدَ عَشْتَارُوثَ آلِهَةَ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُومَ إِلَهَ الْعَمُّونِيِّينَ الْبَغِيضَ، ٦ وَارْتَكَبَ الشَّرَّ فِى عَيْنَىِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعْ سَبِيلَ الرَّبِّ بِكَمَالٍ كَمَا فَعَلَ أَبُوهُ دَاوُدُ. ٧ وَأَقَامَ عَلَى تَلِّ شَرْقِى أُورُشَلِيمَ مُرْتَفَعاً لِكَمُوشَ إِلَهِ الْمُوآبِيِّينَ الْفَاسِقِ، وَلِمُولَكَ إِلَهِ بَنِى عَمُّونَ الْبَغِيضِ. ٨ وَشَيَّدَ مُرْتَفَعَاتٍ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ، اللَّوَاتِى رُحْنَ يُوْقِدْنَ الْبَخُورَ عَلَيْهَا وَيُقَرِّبْنَ الْمُحْرَقَاتِ لِآلِهَتِهِنَّ. "[2].

ويستمر مؤلف السفر فى ضلاله؛ فيذهب إلى أنَّ سليمان عبد من الأوثان: عَشْتَارُوت، ومِلْكوم، وكاموش، ومُولك...

ويا لها من شيبة معيبة، وخاتمة مرذولة، لنبى من أنبياء الله، شوَّه الكافرون سيرته،

---

(١) سورة ص ٣٨: ٣٥ ـ ٤٠.

(٢) سفر الملوك الأول ١١: ١ ـ ٨.

وبرَّأه القرآن الكريم من العيب، ونفى عنه الكفر، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1].

والحديث بالسوء عن سيِّدنا سليمان يعيد إلينا السؤال:

هل كان سليمان وأبوه من بنى إسرائيل بالمفهوم اليهودى ؟

هناك شكٌّ كبير بين العلماء فى نسبة هذين النبيين إلى بنى إسرائيل ـ وأذكِّركم بأنَّ بنى إسرائيل كجنس متميِّز نقى فى زعم اليهود لم يعد لهم وجود فى هذا الزمن؛ فقد انقرضوا منذ نحو ثمانية قرون سبقت على ظهور داود وسليمان ـ وكثير من العلماء يتحدَّثون عن الهيكل الَّذى بناه سليمان، وزيَّنه بعدد من الصور والتماثيل يكاد يجلُّ عن الحصر وليس فى عقائد اليهود مكان للعلم والفن؛ " ومن أجل هذا لا نجد نحتا، ولا تصويرا، ولا نقشًا بعد الأسر البابلى، كما لا نجد إلاَّ القليل منها قبل الأسر إذا استثنينا عهد سليمان الَّذى يكاد يكون عهدًا أجنبيًّا عن العبرانيين "[2].

فإلى أى جنس ينتسب داود وسليمان ؟

✪ يرى الكاتب الفرنسى جان لوى برنار Jean Lois Bernard أنَّ سيِّدنا سليمان لم يكن يهوديا، وإنَّما كان أشوريا، وكان نائب الملك معيَّنا من الخارج، وهو شلمانصر الَّذى عبرته اليهود فحوَّلوا اسمه إلى سليمان، وقد اغتيل على يدهم "[3].

✪ الراجح أنَّهما أشوريَّان وهو جنس مختلط من العرب والأكراد، "وهذا يفسِّر لنا الصداقة الَّتى ربطت سليمان بالملوك الفينيقيين الَّذين ساعدوه فى بناء هيكله الذَّائع الصيت فى أورشليم، ويفسِّر لنا كذلك الحبَّ الَّذى كرَّسته ملكة سبأ العربية للحكيم سليمان، ولو كان يهوديًّا لاستحالت هذه الصداقة، ولاستحال هذا الحب إلى كراهية وبغضاء؛ لأنَّ اليهود هم أمشاج مختلطة، كانوا منبوذين فى العالم العربى، ولكنَّ هذا العربى الكردى مرتبط روحيًّا بمصر... وقد تزوَّج بامرأة مصريَّة من

---

(١) سورة ص ٣٨: ٣٠.

(٢) قصة الحضارة ٢ / ٣٧٢.

(٣) العرب واليهود فى التاريخ ٦٢٩.

طبقة روحيَّة عالية، تدين بديانة الإلهة هاتور... وإنَّ آية الشاعر الملك الرائعة الَّتى هى "نشيد الأنشاد" ـ أحد أسفار العهد القديم ـ الَّذى هو عبارة عن غزل دينى كان سائدًا أنذاك، وهو مصرى قلبا وقالبا ومنهل خالص من مناهل الأدب الصوفى المصرى[1].

ثمَّ يأتى السؤال الآخر: هل كانت المملكة الَّتى تأسست فى عهدهما ـ ثم انقسمت بعد سليمان دولتين، ثم زالتا ـ مملكة يهودية ؟

المؤكد عند العلماء أنَّها لم تتوفَّر فيها مقومَّات الدولة القومية، فليس لها لغة، أو ثقافة، أو حضارة خاصة بها، بل كانت قائمة على التراث الكنعانى بالكامل[2].

وكانت فلسطين تعترف بالسيادة لمصر، وعندما استولى فرعون على حصن جزر الكنعانى جعله مهرًا لابنته الَّتى زوَّجها سليمان[3].

تسبَّب استخدام سليمان العمَّال فى جميع أشغاله بنظام السخرة وفرض الضرائب الباهظة، بالإضافة إلى نفقاته وتبذيرة نقم عليه الشعب، وكان هذا سببًا فى انقسام دولته الصغيرة إمارتين متصارعتين بعد موته فى نحو ٩٢٣ ق.م.:

الأولى: إسرائيل فى الشمال، وعاصمتها شكيم، ثمَّ بدَّلوا بها ترزة فالسامرة، وتولَّى عرشها يربعام الأول، وتضم القبائل الشمالية العشر، وقسمًا من قبيلة بنيامين، وبالرغم من تفوُّقها العددى فقد كانت تفتقر إلى اللحمة الدينية والسياسية وكثرت فيها الثورات.

والأخرى: يهوذا فى الجنوب، وعاصمتها أورشليم، وتولَّى عرشها رحبعام، وتضم قبيلتى يهوذا وبنيامين.

كان بين الإمارتين منذ تأسيسهما تنافس وعداء، وكان لكل منهما أيام ازدهار وانحطاط، وكان توازن القوى يميل تارة لمصلحة إسرائيل وتارة أخرى لمصلحة

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ ٦٣٠.
(٢) المصدر السابق ٦٣٢.
(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢٠٧.

يهوذا، ولمدَّة قرنين فقط من الزمان عملت الثورات والفتن والمكائد الداخليَّة على خراب الإمارتين، وإضعافهما، ثمَّ القضاء عليهما؛ فسقطت مدينة السامرة فى يد سرجون الثانى فى نحو سنة ٧٢٢ ق.م. فسبى الرجال والنساء إلى ميديا، وتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد[١].

وفى التاريخ المصرى القديم ما يؤكَّد أنَّ مملكتى إسرائيل ويهوذا اللتين انقسمت إليهما مملكة سليمان كانتا خاضعتين ـ أو على الأقل كانتا متحالفتين ـ فى كل الأوقات إلى واحدة من الإمبراطوريَّتين الكبيرتين فى التاريخ القديم: البابلية فى الشرق، والمصرية فى الغرب، وكانت شئونهما الداخليَّة وسياستهما من رسم الإمبراطورتين اللتين تأصَّلت فيهما الحضارة واستقرَّت فيهما النظم الإدارية.

وبعد أن اعتلى نخاو الثانى العرش فى سنة ٦٠٩ ق.م. فقاد جيشا صوب الفرات، وهزم يوشياس ملك يهوذا المتحالف مع البابليين، وقتله فى مجدُّو، وسجن ابنه، ونصَّب مكانه يهوياقيم Jehoiakim (٦٠٨ ـ ٥٩٧) وظل يسانده بصفة خاصة ضد النبى أورى، وغيره من الانهزاميين فى أورشليم الدَّاعين إلى التحالف مع الدولة البابلية، واستطاع ملكها نبوخذنصر من دخوا أورشليم، وأسر الملك المتمرَّد، وعيَّن مكانه ابنه يهوياقين Jehoiachin زلم يحكم إلاَّ ثلاثة أشهر ثم سباه نبوخذنصر مع أمّه ونسائه وموظفيه وجنوده، وعيَّن مكانه صدقيا (٥٩٧ ـ ٥٨٦) الَّذى كان فى الحادية والعشرين من عمره متظاهرًا بالولاء لنبوخذ نصر، ولكنه استجاب لرغبة الزعماء الوطنيين، ورغب فى الاستقلال بالبلاد بمساعدة مصر، ولكن نبوخذنصر تمكَّن فى سنة ٥٨٦ ق.م. من دخول أورشليم، وحمل الملك مسمول العينين إلى بابل، وسبى جميع الإسرائيليين فيما عرف بالسبى الكبير، ودمَّر كلَّ مدينة مهمَّة فى يهوذا، وزالت من التاريخ كإمارة[٢].

لعل سيرة سيِّدنا سليمان عليه السلام أكثر سير الأنبياء جميعًا ارتباطًا بالأساطير

---

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢١٣، ومعجم الحضارات ٥٨٢.
(٢) مصر الفرعونية ١٨٦، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ١ / ٢٢٠.

والعجائب[1]؛ ذلك لأنَّ الله ﷻ أعطاه ملكًا لم يعطه أحدًا من خلقه؛ فقد خضع له الإنس، وسخَّر له الجنَّ تغوص فى البحار، وتستخرج منه اللآلئ، وتصنع المحاريب والتماثيل، وعلَّمه منطق الطير، وسخَّر له الريح تجرى بأمره حيث يشاء، وقيل: كان لا يسمع بملك فى ناحية من الأرض إلاَّ أتاه، وكان يوضع له ستمائة كرسىّ، ثمَّ يجىء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثمَّ يجىء أشراف الجنِّ فيجلسون مما يلى الإنس، ثمَّ يدعو الطير فتظلَّهم، ثمَّ يدعو الريح فتحملهم، فتسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر كامل... لا تعنينا هذه العجائب والغرائب، وإنَّما يعنينا هنا أمران: علاقة سيِّدنا سليمان عليه السلام بمصر، ووفاته.

فبالنسبة للأمر الأوَّل: سبق أنْ قلنا أنَّه تزوج أميرة مصرية، وأنَّه فاق أباه وكلَّ الناس فى الحكمة وفصل الخطاب، وتشمل حكمته الحكمة المشهورة المأثورة عن مصر، أى العلم الخفىِّ، ويقال: إنَّ الفيلسوف الرياضى اليونانى فيثاغورس Puthagoras قد تلقَّى علمه على سليمان فى مصر، وقيل: إنَّ سليمان تعلَّم السحر على يد مامبريس Mambres الساحر المصرى، وكانت قدرته على السحر متأثرة بنقش على خاتمه هو اسم الله الأعظم[2].

وبالنسبة للأمر الآخر: أراد الله ﷻ أنْ يظهر للناس أنَّه وحده الذى يعلم الغيب، ولم يُؤْتِ أحدًا من خلقه هذا العلم، وقد ظنَّ بعض الناس أنَّ الجنَّ تعلم الغيب، وتؤثِّر فى حياة الناس بهذا العلم، وكان سيِّدنا سليمان يكلِّفها بالعمل، ووقف مستندًا على عصاه ولقى ربَّه، وظلَّت الجن تؤدى العمل المكلَّفة به وهى لا تعرف بموته إلى أنَّ أكلت الأَرَضَةُ عصاه، وسقط على الأرض، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[3] فسبحان الله علاَّم الغيوب.

---

(١) راجع مثلا: تاريخ الطبرى ١/ ٤٨٦ وما بعدها، وقصص الأنبياء لابن كثير ٤٣٣ وما بعدها، ودائرة المعارف الإسلامية ١٩ / ٨٥٣٨ وما بعدها.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ١٩ / ٨٥٣٨، نقلا عن حسن المحاضرة للسيوطى.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ١٤.

أيوب

أيوب Job عليه السلام: ورد اسمه فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[4].

تتفق رواية الأسفار اليهوديَّة مع القرآن الكريم فى وصف سيِّدنا أيُّوب عليه السلام بالعبوديَّة لله وبالصلاح والتقوى: "كَانَ صَالِحاً كَامِلاً يَتَّقِى اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ."[5].

كما تتفق الأسفار اليهوديَّة مع القرآن الكريم فى أنَّ الله تعالى ابتلاه فى ماله،

---

(١) سورة النساء ٤: ١٦٣ .
(٢) سورة الأنعام ٦: ٨٤.
(٣) سورة الأنبياء ٢١: ٨٣ ـ ٨٤.
(٤) سورة ص ٣٨: ٤١ ـ ٤٤.
(٥) أيوب ١: ١.

وأولاده، وجسمه، وأنَّ الله ﷻ كشف عنه الضر عندما وجده صابرًا محتسبًا، حتَّى أصبح مضرب المثل بين الناس فى الصبر على البأساء وقوَّة التحمل.

وكعادة المفسرين المسلمين استقوا كثيرًا من الأساطير عن سيِّدنا أيُّوب من الأسفار اليهوديَّة وتفسيرها المسمَّى "هجادة"، ولا يعنينا هنا مجموعة تلك الأساطير[1]، وإنَّما يعنينا علاقته بمصر.

تذكر المصادر اليهوديَّة أنَّ سيِّدنا أيوب سافر إلى مصر، وأصهر إلى أبناء سيِّدنا يوسف عليه السلام؛ فتزوَّج من رحمة بنت إفرايم بن يوسف، وقيل: إنَّه تزوج من مشير ـ أو ماخير ـ بنت منسَّا ـ أو ميشا ـ بن يوسف عليه السلام[2].

وفى سيرة سيِّدنا أيُّوب تستوقفنا بعض الملاحظات، منها:

۞ مَنْ أيُّوب ؟ إنَّ الأسفار اليهوديَّة لم تذكر لنا سببًا على الإطلاق، ولم تذكر غير اسمه فقط، وهو أمر غير مألوف عند مؤلفى الأسفار؛ ولهذا يذهب الخورى بولس الفغالى إلى أنَّه لم يكن من بنى إسرائيل، ويفسِّر اسمه بأنَّ معناه: ذاك الَّذى نعامله كعدو، أو أين الأب ؟ ويخلص إلى أنَّه بطل شعبى أو شخص تاريخى ينتمى إلى عند الآباء؛ بسبب صبره، وتحمله المصائب، يُذْكَرُ مع نوح ودانيال، وظلَّ ذِكْرُه حيًّا لدى الأجيال إلى أنْ جاء كاتب مجهول فاختاره ليجسِّد من خلاله أفكاره الخاصَّة عن الألم الَّذى يعانيه الأبرار، وعن إمكانيَّة الحوار مع الله فى قلب الألم الَّذى يرتبط بالخطيئة إلى نعمة وخير[3].

۞ لم يجد المفسرون المسلمون نسبًا يذكرونه لأيُّوب؛ فتبرَّعوا بذكر نسب له إمَّا أنَّهم نقلوه من الهجادة؛ لأنَّ اليهود عندما وجدوا أوَّل السفر قوله: "عَاشَ فِى أَرْضِ عَوْصَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَيُّوبُ، " فبدَّلوا بأرض عوص اسم "عيسو"، وجاء

(١) راجع مثلا: تاريخ الطبرى ١/ ٣٢٢ وما بعدها، وقصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٢ وما بعدها، ودائرة المعارف الإسلامية ٥ / ١٤٤١ وما بعدها.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ٥ / ١٤٤١.

(٣) المحيط الجامع ٢٢٢.

المسلمون فأخذوا عنهم ونسبوا أيُّوب إلى العيص بن إسحاق بن يعقوب ـ عليهم السلام ـ.

وإمَّا أنَّهم ألَّفوه من عند أنفسهم؛ ففى تفسيرهم قوله تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1]، يرجعون الضمير فى ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ إلى إبراهيم، لا إلى نوح ـ مع أنَّ القاعدة اللغويَّة أنَّ الضمير يعود على أقرب مذكور ما لم يقم دليل على إرادة غير ذلك ـ وبنوا على تفسيرهم هذا نسبة أيُّوب إلى العيص، واختلفوا فى ذلك النسب:

فتارة هو أيوب بن موص بن رازح بن العيص، وتارة أخرى هو أيوب بن موص بن رعويل...، وعلى هذا النسب جعلوا أمَّه بنت سيِّدنا لوط عليه السلام، ولمَّا وجدوا أنَّ سيرة نبى الله لوط موثَّقة عادوا فنسبوه إلى رجل ممن آمن بسيِّدنا إبراهيم عليه السلام يوم ألقى فى النار[2]، وكل هذه الأنساب لا أصل لها ولا سند من علم أو دين أو تاريخ، وعلينا أنْ نؤمن بما نصَّ عليه القرآن الكريم منْ أنَّه نبى من أنبياء الله الكثيرين، أُوحِىَ إليه كما أوحى إلى غيره من الأنبياء الَّذين ذكرهم الله ﷻ فى آية سورة النساء، ونؤكِّد أنَّ الغاية من القصص القرآنى العظة والعبرة لا التأريخ ولا توثيق المعلومات؛ فلو كان جدُّه رازح أو رعويل، أو كان أبوه موصًا أو بوصًا فإنَّ ذلك لا يؤثِّر فى حقيقة نبوَّته، وفى أنَّه من عباد الله الصالحين المقربِّين، ولو كان فى اسم أبيه أو جدِّه نفع أو فائدة لذكره الله صراحة، والله تعالى أعلم.

۞ جاء فى سفر أيُّوب هذه العبارة " ٦ وَحَدَثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ مَثَلَ بَنُو الله أَمَامَ الرَّبِّ، فَانْدَسَّ الشَّيْطَانُ فِى وَسَطِهِمْ. ٧ فَسَأَلَ الرَّبُّ الشَّيْطَانَ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «مِنَ الطَّوَافِ فِى الأَرْضِ وَالتَّجَوُّلِ فِيهَا». ٨ فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ رَاقَبْتَ عَبْدِى أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لاَ نَظِيرَ لَهُ فِى الأَرْضِ، فَهُوَ رَجُلٌ كَامِلٌ صَالِحٌ يَتَّقِى

---

(١) سورة الأنعام ٦: ٨٤.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٢.

اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». ٩ فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «أَمَجَّاناً يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ ؟ ١٠ أَلَمْ تُسَيِّجْ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا يَمْلِكُ. لَقَدْ بَارَكْتَ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ، فَمَلأَتْ مَوَاشِيهِ الأَرْضَ. ١١ وَلَكِنْ حَالَمَا تَمُدُّ يَدَكَ وَتَمَسُّ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ».[1]، يثير هذا النص فى أذهاننا مجموعة أسئلة، منها: من أبناء الله هؤلاء ؟ وأين مثلوا أمام الرب ؟ ولماذا ؟ وكيف علم الشيطان بهذا المثول ؟ وهل عرفوا بوجوده بينهم أو لا ؟

وأخيرًا لماذا تحوَّل الاجتماع إلى حوار مباشر بين الله والشيطان، وانتهى بإطلاق يد الشيطان ليصيب أيُّوب بالمصائب وبالكوارث ؟

نقول: من أبناء الله هؤلاء ؟

سبق القول: إنَّ الشريعة الخطيَّة تحتوى على أطنان من أبناء الله فى كل الأسفار تقريبًا ـ فماذا يعنون بهذا المصطلح ؟

يقول الخورى بولس الفغال: عبارة أبناء الله تدلُّ على ثلاثة أمور:

الأمر الأوَّل: فى الميثولوجيَّات القديمة هناك عدَّة أنواع من أبناء الآلهة:

❁ الآلهة الَّذين يعتبرون كأبناء حقيقيين لإله آخر؛ فبعض الآلهة يعتبرون أبناء إله من آلهتهم أو بنات له، فمثلا: فى فينيقية بعل وموت هما ابنا إيل وفى بابلونية سين "القمر" هو ابن آنو.

❁ أنصاف الآلهة مثل جلجاميش، أو الملوك كما فى مصر، أو رجال ظنَّ الناس أنَّهم وُلِدوا من إله، مثل: قدموس، أوربا.

مواطنو إله، دُعِى المؤابيُّون أبناء كموش وهناك من اعتبر كموش جدَّ الشعب وسيِّده والمحامى عنه.

❁ كائنات يدخلون فى فئة إلوهيم، أو تخص الله وبلاطه، أو تقيم بقرب الله، كأرواح الموتى، أو أناس يتمتَّعون بسلطة خارقة، الملوك والقضاة.

---

(١) أيوب ١: ٦ـ ١١.

والأمر الثانى: فى العهد القديم: أبناء الله فى الأسفار اليهوديَّة هم أشخاص ينتمون إلى بلاط يهوه، أو جيشه، هم يخدمونه، ويعملون عمل مرسليه، هم الملائكة، وفى نص سفر التكوين " ١ وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَتَكَاثَرُونَ عَلَى سَطْحِ الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢ انْجَذَبَتْ أَنْظَارُ أَبْنَاءِ الله إِلَى بَنَاتِ النَّاسِ فَرَأَوْا أَنَّهُنَّ جَمِيلاتٌ فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ مِنْهُنَّ زَوْجَاتٍ حَسَبَ مَا طَابَ لَهُمْ. "[1]، يسرف بولس الفغالى فى ذكر معانى لا رابط بينها؛ فآباء الكنيسة فى القرون الأربعة الأولى نقلوا عبارة أبناء الله إلى أبناء الأمراء، ولَمَّحوا إلى خطيئة الملائكة ـ وأمَّا مجمل الشرَّاح المعاصرون فى يرون فى هذا النص جزءًا من أسطورة قديمة رسمت حبّ الآلهة لنساء من الأرض، كيَّفها الكتَّاب فيما بعد بحسب النظرة الدينيَّة فى أرض إسرائيل، فما تحدَّث عن الآلهة بل عن أبناء الله (الملائكة) وهذا التفسير مرفوض لدى أبناء الكنيسة بعد أبناء القرن الرابع، ولدى اللاَّهوتيين، لأنَّه لا يتوافق ـ كما يبدو ـ مع التعليم حول الملائكة الَّذين هم أرواح، ويلاحظون أيضا أنَّ الله فى هذا الشرح لا يعاقب الخطاة أى الملائكة، بل الأبرياء أى البشر، وانتهوا إلى ما سبق القول فى تفسير أبناء الله أنَّهم أبناء شيث، وبنات الناس هم بنات قايين.

والأمر الثالث: فى العهد الجديد جميع الذين يعملون مشيئة الله هم أبناء الله سواء أكانوا يهودًا أم كانوا غير يهود، لا لأنَّ الله خلقهم، وحماهم وحفظهم فحسب بل لأنَّهم دُعُوا أيضا ليشاركوا فى كمال الله، ويتشبَّهوا بأبيهم السماوى، إنَّ المؤمنين يشاركون فى هذا التشبُّه بالله، بالحياة الإلهيَّة الَّتى أعطيت لهم فى العماد بروح الله؛ فيصيرون أبناء الله بالتبنِّى، ويدعونهم أباهم[2].

وإذا رجعنا إلى نص سفر أيُّوب وتأمَّلنا فهم اللاهوتيين لمصطلح أبناء الله فأىُّ أبناء الله هؤلاء الَّذين مثلوا أمام الرب ؟ وتظل الأسئلة الَّتى يثيرها النص فى أذهاننا بلا إجابة، لسبب واحد بسيط هو أنَّها مبنيَّة على مجرد خيالات وأوهام، لا تستند على حقيقة، ولا واقع.

---

(١) انظر ص ٢١٣.

(٢) المحيط الجامع مادتى: "أبناء الله" ٢١، و"إلوهيم" ١٤٠.

۞ البعث والنشور فى المفهوم الدينى: الملاحظة الأخيرة الَّتى تستوقفنا فى سيرة سيِّدنا أيُّوب عليه السلام هى ما الهدف الَّذى أراده كاتب هذا السفر ؟

من المعروف أنَّ رسالات السماء ليست دعوة إلى توحيد الله وعبادته فقط، بل هى إلى جانب ذلك دعوة إلى إصلاح المجتمع، ولمَّا كانت العيوب تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر لذلك اختلفت دعوة الإصلاح؛ فإذا نظرنا إلى المجتمع العربى قبيل البعثة المحمَّدية نجده فى الغالب مجتمعًا وثنيًّا، لا يؤمن ببعث أو نشور، ولا يعرف إله يحاسب الناس على أعمالهم، ولعلَّ هذا هو السبب الَّذى يجعلنا نجد كثيرًا من آيات القرآن الكريم تحدَّثنا عن دهشة الكفَّار من الإخبار عن الحياة الآخرة، والبعث بعد الموت والفناء، من مثل قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾[1]، وقد تكرر هذا المعنى كثيرًا فى القرآن الكريم.

ولمَّا كان المجتمع المصرى يؤمن بالبعث والحساب منذ أزمان بعيدة لذلك لم يواجه سيِّدنا موسى عليه السلام هذا الأمر؛ ويجمع الباحثون على أنَّ الأسفار اليهوديَّة خلت تمامًا من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء، وأنَّ بعض اليهود لا يؤمنون بالحياة الأخرى، بل يسخرون منها، ويرون أنَّها بعيدة جدًّا؛ ولذلك أطلقوا عليها الاسم العبرى "أحرنيت هيتاميم" الَّتى معناها آخر الأيَّام، ولم يفكِّر اليهود فى الغيبيات إلاَّ فى اتجاهين: الأول: نهاية العالم.

والآخر: الخلاص على يد المسيح المنتظر.

وبالرغم من خلو الأسفار اليهوديَّة من الإشارة إلى البعث فإنَّ أكثر مفكِّرى اليهود وعلماءهم يؤمنون ببعث الأحياء من الموت[2].

وإذا رجعنا إلى الغرض من سفر أيُّوب تبيَّن لنا أنَّه تعبير عن نظرة اليهود إلى الجزاء فى الدنيا، يقول بولس الفغالى: كان الإسرائيليون يعتبرون أنَّ الألم هو

---

(١) سورة ق ٥٠: ٢ ـ ٣.

(٢) يوم القيامة بين الإسلام والمسيحيَّة واليهوديَّة ٥٤.

عقاب، ويرون فى خيرات الأرض مكافأة إلهيَّة، وفى المحنة عقابًا عن الشر، وما داموا يؤمنون بأنَّ الإنسان يمكن أنْ يعاقب عن خطايا غيره (مثلا خطايا الآباء) فكَّروا أنَّ الواقع يثبت نظريَّتهم، ولكن جاء تعليم الأبناء، وأحداث النفى فبرز العنصر الشخصى فى العلاقات مع الله، حينئذ بدأ المفكِّرون يعترضون على هذه الطريقة الضيِّقة الَّتى بها تعامل عدالة الله البشر، ولكنهم لم يجدوا جوابًا مرضيًا عن ألم البارّ؛ لأنَّهم لم ينظروا إلى الأمور على ضوء الآخرة، وكان سفر أيُّوب محاولة من الفكر الدينى للخروج من هذا المأزق، إنَّه يتضمَّن بعض المحاولات الَّتى تتجاوز التعليم التقليدى عن الألم كمنحة للتقوى الحقيقية، كتنقية تهيِّئ لخيرات أكثر فيضًا[1].

اختلف رواة السير فى مدَّة ابتلاء سيِّدنا أيوب، وفى سنين عمره، ولكنهم أجمعوا على أنَّ الله ردَّ عليه أهله وماله، ومثلهم معهم، ومتَّعه سنين طويلة، ومات وعمره ثلاث وتسعون ستة، وقيل: إنَّه عاش أكثر من ذلك[2].

إلياس

إلياس Elie عليه السلام: قيل هو النبى إيليا، وهو ـ بحسب ما يزعمه مؤلفو الأسفار اليهوديَّة ـ فينحاس بن إليعازر بن هارون ـ ويقال: إلياسين بن ياسين عيزار بن هارون، ويقال: هو إلياهو، وكلمة إلياس يونانية ـ ويقال: هو الخضر الَّذى وعده الله بالحياة، ولد فى مصر، وخرج أبوه مع موسى عليه السلام وعمره ثلاث سنوات، وتولَّى حكم قوم موسى بعد يوشع بن نون[3].

ورد اسمه فى القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[4].

---

(١) المحيط الجامع ٢٢٤.

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ٢٣٨.

(٣) تاريخ اليهود وآثارهم فى مصر ٨١.

(٤) سورة الأنعام ٦: ٨٥.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1].

وقد أكثر المفسرون والمؤرخون المسلمون من الحديث عن إلياس، وزعموا أنَّ الأحياء من الأنبياء أربعة: اثنان فى السماء إدريس وعيسى.

واثنان فى الأرض إلياس والخضر عليهم السلام، وقيل: إنَّهما يجتمعان فى كل عام فى شهر رمضان فى بيت المقدس، وأنَّهما يحجَّان كل سنة، ويجتمعان بعرفات، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل، وقيل: إنَّهما عاشا حتَّى شهدا أوَّل ما نزل الوحى على سيِّدنا محمد ﷺ.

وأكثر ما قالوه من الإسرائيليَّات الَّتى لم يصح منها شىء، ولا تتفق مع القرآن الكريم، فالقرآن صريح فى أنَّ الخلْد لم يكتب لأحد من البشر، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾[2].

ولكن يبدو أنَّه عانى كثيرا من إيذاء بنى إسرائيل، وكفرهم، فحاولوا قتله؛ فهرب منهم، ودعا عليهم بالجوع والظمأ[3].

ويكثر الخلط بين إلياس، وبين الخضر، وقيل: إنَّه القديس جرجس، مثله فى ذلك مثل الخضر، وسبب هذا الخلط أنَّ القديس جرجس (غريغوريوس) يعتبر حارسًا للناس !![4].

الخضر

سيدنا الخضر: لم يرد اسمه لا فى القرآن الكريم ولا فى الشريعة الخطيَّة، ولا يعرف له نسب، فمن قائل: إنه ابن آدم، أو ابن قابيل، أو ابن بنت فرعون، أو هو فنياس بن إليعازر بن هارون... وتذكر تواريخ جدُّ متفاوتة

---

(١) سورة الصافات ٣٧: ١٢٣ ـ ١٢٦.
(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٣٤.
(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ٤٠٥، ودائرة المعارف الإسلامية ٤ / ١١٦١.
(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ١١٦٤.

للزمن الَّذى وجد فيه، فقيل: إنَّه كان معاصر إبراهيم، وهاجر معه إلى أرض بابل... وقد أثبت علماء المسلمين نبوَّة سيِّدنا الخضر، والأقوال كثيرة فى هذا المجال، لا يعنينا منها إلاَّ أنَّ سيرته مرتبطة بسيرتى إلياس، وموسى ـ عليهما السلام ـ وهما مصريَّان، وقيل: إنَّ الخضر كان ابن فرعون صاحب مصر، وقيل: كان أخا إلياس، وفى سورة الكهف قصة مطوَّلة للقاء الخضر موسى، واختلف المفسرون فى شخص موسى هل هو النبى أو شخص آخر من نسل سيِّدنا يعقوب عليه السلام.

ولشخصيَّة الخضر شأن كبير فى الأساطير والقصص الَّتى ربطت بينه وبين الأساطير اليونانية والفارسيَّة والعربية؛ فهو يعيش فى بيت المقدس، ويصلِّى الجمعة فى مساجد مكَّة والمدينة... وقد فصَّل ابن كثير عشرات الأحاديث المروية عنه، ونقدها نقدا جيِّدًا[1].

إرميا

النبى إرميا Jérémie: لم يذكر فى القرآن الكريم، وهو واحد من أنبياء إسرائيل الأربعة الكبار، وله سفر طويل باسمه، وينسبه اليهود إلى بنيامين ابن سيِّدنا يوسف عليه السلام، وعاش فى الفترة بين (٦٥٠ ـ ٥٨٠ ق. م.) وعاصر فترتى السيطرة المصرية على أورشليم، ثم السيطرة البابلية، وكان مناهضًا لمبدأ التحالف مع مصر، وحذَّر اليهود من الذهاب إليها ولكنهم لم يطيعوه، وتروى الأعراف المسيحية القديمة أنَّ إرميا مات شهيدًا فى مصر على أيدى جماعة من اليهود ساءه لومه لهم[2]، بعد أنْ أجبروه على الذهاب إليها " ٤ وَأَبَى يُوحَانَانُ بْنُ قَارِيحَ وَسَائِرُ قُوَّادِ الْقُوَّاتِ وَكُلُّ الشَّعْبِ طَاعَةَ صَوْتِ الرَّبِّ لِلإِقَامَةِ فِى أَرْضِ يَهُوذَا. ٥ بَلْ أَخَذُوا كُلَّ بَقِيَّةِ يَهُوذَا الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الأُمَمِ الَّتِى تَشَتَّتُوا فِيهَا لِيُقِيمُوا فِى أَرْضِ يَهُوذَا، ٦ الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ وَبَنَاتِ الْمَلِكِ، وَكُلَّ إِنْسَانٍ تَرَكَهُ نَبُوزَرَادَانُ رَئِيسُ الشُّرْطَةِ فِى عُهْدَةِ جَدَلِيَا

---

(١) قصص الأنبياء لابن كثير ٣٨٩، ودائرة المعارف الإسلامية ١٥ / ٤٦٧٦.

(٢) معجم الحضارات السامية ٦٩.

بْنِ أَخِيقَامَ بْنِ شَافَانَ، وَإِرْمِيَا النَّبِى، وَبَارُوخَ بنَ نِيرِيَّا. ٧ فَأَقْبَلُوا إِلَى مِصْرَ إِذْ لَمْ يُطِيعُوا صَوْتَ الرَّبِّ. وَنَزَلُوا فِى تَحْفَنْحِيسَ. "[1].

وجاء فى مقدمة السفر ـ فى الترجمة الأرثوذكسية ـ أنَّ إرميا عاش طوال الأربعين سنة الأخيرة من حياة مملكة يهوذا، وشاهد وعانى من هجوم الجيش الكلدانى على أُورشليم ومملكة يهوذا، واستيلائه عليها، وسبى الشعب، ودمار الهيكل. وكان قد أنذر وحذر الناس مما سيجرى عليهم، وتوسل إليهم أنْ يرجعوا إلى الرَّب ويتخلوا عن آثامهم من غير جدوى. بل تعرض للمهانة والاحتقار والاضطهاد.

لم يكن لدى إرميا، فى خضم الأحداث الرهيبة التى ألمت بيهوذا سوى رسالة واحدة يذيعها على مسامع الشعب: «توبوا وارجعوا إلى الله». دعاهم إلى التخلى عن الأوهام وإعطاء الله مكانته اللائقة به والتى هى من حقه، فى حياة الأُمـة، لا شيء يمكنه أَنْ ينقذ الشعب من مصيرهم، لا ثروتهم ولا جيوشهم، ولا رجال سياستهم، حتى ولا دينهم، إنما الله وحده هو القادر على إنقاذهم، إن دمار أُورشليم يبقى تذكاراً خالداً لكل العصور على مصير الأُمة التى ترفض الله، ولكن كانت لدى إرميا رسالة أُخرى هى رسالة الرجاء. فمع أنَّ شعب يهوذا قد نبذ الله، فإنَّ الله لم ينبذهم، وأنه لابد أنْ يظهر قوته من أجل إنقاذهم من أسرهم[2].

يحيى

سيدنا يحيى عليه السلام: لا يمكن الفصل بين سيرة سيِّدنا يحيى، وسيِّدنا عيسى عليه السلام؛ فهما متكاملتان، فقد جاءت قصة سيِّدنا يحيى فى القرآن الكريم فى سورة مريم مرتبطة بسيرة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وممهدة لرسالته، وفى سيرتهما تشابه من وجوه، منها: كلاهما ولد ببشارة من الله، وكلاهما ولد بمعجزة، وكلاهما أوحى إلى المبشَّر به باعتزال الناس، وكلاهما على خلق كريم واحد، وكلاهما أوتى كتابا من عند الله.

---

(١) إرميا ٤٣: ٤ ـ ٧.

(٢) مقدمة السفر ٨٨٩.

ونبدأ الحديث الأول ـ هنا ـ عن سيِّدنا يحيى ﷺ، ونرجئ الحديث الثانى عن أوجه التشابه بين النبيين إلى الفصل التالى، فى سيرة سيِّدنا عيسى ﷺ:

۞ أمَّا بشارة أبيه زكريَّا، ففى قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾[1].

۞ وأمَّا الميلاد المعجزة ففى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[2].

۞ وأمَّا الوحى باعتزال الناس ففى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾[3].

۞ وأمَّا الخلق الكريم ففى قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[4].

۞ وأمَّا الكتاب ففى قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[5].

ويجب ألاَّ ننسى أنَّ الكتاب الَّذى كُلِّف به سيِّدنا يحيى ﷺ هو: " الرسالة النبوية " على طريق التوراة، و ليس دينًا جديدًا، ولا شريعة ناسخة لما قبلها "[6].

ومن الترابط الوثيق بين سيرة النبيين أنَّ المؤرخين ينسبون لأحدهما ما ينسبونه للآخر، فقد زعم المسعودى أنَّ أم النبى يحيى هربت به إلى مصر فرارًا من ظلم

---

(١) سورة مريم ١٩: ٧.
(٢) سورة مريم ١٩: ٨ ـ ٩.
(٣) سورة مريم ١٩: ١٠.
(٤) سورة مريم ١٩: ١٣ ـ ١٥.
(٥) سورة مريم ١٩: ١٢.
(٦) عقائد النصارى الموحدين ١١.

الحاكم، وذلك فى الوقت الَّذى تنسب فيه البشائر هذه الرحلة إلى السِّيدة مريم أمُّ المسيح[١].

ويطلق المسيحيُّون على النبى يحيى " يوحنَّا المعمدان Jean – Baptiste "، وهو الذى ورد ذكره فى البشائر الأربعة يوحنا، ولوقا، ومتى، ومَرْقص، فقد ولد بمعجزة حيث بشر الملاك جبرائيل والده الكاهن زكريا Zacharie بأنَّ زوجته العاقر إليصابات Elisabeth سوف تلد وهى عاقر، وقد تعدت السبعين من عمرها، وظل يوحنا يعيش فى الصحراء، يمهِّد لمجىء المسيح، فقد جاء البشائر:" صَوْتٌ مُنَادٍفِى الْبَرِّيَّة: أعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، وَاجْعَلُوا سُبُلَهُ قَوِيمَةً "[٢]، " وَكَانَ يُعْلِنُ فَيَقُولُ: يَأْتِى بَعْدِى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّى، مَنْ لَسْتُ أَهْلاً لأنْ أنْحَنِىَ فَأَفُكَّ رِبَاطَ حِذَائِهِ، أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ "[٣].

وقصة استشهاد يوحنا المعمدان فى التاريخ مشهورة جدًّا، وكتبت فيها كتب كثيرة، وملخَّصها أنَّ الحاكم هيرودس أنتيباس Hérode Antipas طمع فى هيروديَّة Hérodiade زوجة أخيه هيرودس فيلبس Hérode Philippe؛ فقام بسجنه، وتزوَّج امرأته، وقد اعترض يوحنا المعمدان على زواج الحاكم من زوجة أخيه وهو حىٌّ.

وفى يوم عيد ميلاد الحاكم هيرودس رقصت سالومى Salomé ابنة زوجته، وبعد انتهاء الحفل طلب الحاكم من سالومى أيَّة هدية أو مكافأة يقدمها لها، فطلبت رأس يوحنا المعمدان، بتحريض من أمِّها؛ ولأن كلمة الملوك لا ترد فقد أمر بقطع رأس يوحنا المعمدان، وتقديمها هدية لها على طبق من ذهب[٤].

ويقال: إنَّ يوحنَّا دُفِنَ فى دمشق، وقال ابن بطوطة: إنَّ قبره وقبر أبيه زكريَّا يوجدان فى المسجد الكبير بدمشق[٥].

---

(١) دائرة المعارف ٣٢ / ١٠٢٠٢.

(٢) مرقس ١: ٣.

(٣) مرقس ١: ٦.

(٤) Grand LAROUSSE encyclopédique , art " Jean – Baptiste ".

(٥) انظر: دائرة المعارف الإسلامية ٣٢ / ١٠٢٠٢.

والحقيقة أنَّ قبر يوحنا المعمدان أو النبى يحيى موجود بدير الأنبا مقار، بوادى النطرون على بعد تسعين كم غربى القاهرة؛ فقد ثبت تاريخيا أنَّه بعد أنْ قطعت رأس يوحنا المعمدان فى عام ٣٣م دفن فى فلسطين، وظل هناك حتى القرن الرابع الميلادى، وفى عصر البابا إثناسيوس، نقل رفاته إلى الإسكندرية فى كنيسة بنيت خصيصًا له، وسميت باسمه، وهى موجودة فى حى كرموز بجوار عمود السَّوارى، وفى أوائل القرن العاشر نقل رفات يوحنا المعمدان إلى كنيسة الرُّسل بدير الأنبا مقار، ومازال موجودا بها حتى الآن، وتوجد مواثيق ومستندات قديمة بالدير تثبت ذلك، وقد أثبت العالم الأثرى الأمريكى إيفليت وايت فى عام ١٩٢٣م حقيقة الوثائق التى تؤكد وجود رفات يوحنا المعمدان بالدير[١].

ويؤمن المسيحيُّون بأنَّ سيدنا يحيى ولد قبل المسيح بستة أشهر فى عين كارم الحاليَّة ـ على بعد ٧ كم إلى الغرب من أورشليم ـ وهو الَّذى عمَّد المسيح بالماء " ٢٨ هَذَا جَرَى فِي بَيْتَ عَنْيَا، فِي مَا وَرَاءَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ، حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. "[٢].

وسيِّدنا يحيى عندهم ليس نبيًّا، ولا كاهنا كأبيه بل هو واعظ توبة فى البريّة، كان يكرز بالمعموديَّة لمغفرة الخطايا، وكانت متطلَّباته قاسية، وقالوا: إنَّ المسيح ويوحنَّا كانا يتقاربان يومًا بعد يوم، وأنَّ يوحنَّا كان يأمر تلاميذه باتِّباع المسيح[٣].

---

(١) جريدة الأهرام المصرية، العدد ٤٣٢٤٢، بتاريخ ٢٨ / ٤ / ٢٠٠٥م.
(٢) بشارة يوحنا ١: ٢٨.
(٣) المحيط الجامع ١٥٢٩.